السعداء السبعة

السبت 7 نوفمبر 2015 12:11 م

بقلم : د/ عبد الرحمن ابراهيم /استاذ بجامعة القاهرة
بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد
أحبابى الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً

(قبس من نور النبوة)
روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
" سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌ نشأ فى عبادة ربه، ورجلٌ قلبه معلق فىالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" (1).

أيها الاخ الكريم .. اليومُ يومُ القيامة .. ذلك اليوم الرهيب الرعيب، الذى تبدلت فيه الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ .. الحر شديد، والزحام كثير .. ودنت الشمس من الرءوس، واختلط البشرُ بالوحوش، والجميع يبحث عن مخرج لشدة هول الموقف، فما أحوجهم إلى شئ من ظل يخفف عنهم عناء ما هم فيه

وفى هذه الأثناء وقفت فئة قليلة من الناس فى ظل الله سبحانه وتعالى .. هؤلاء الذين اصطفاهم الله عز وجل بما قدموا من صالح العمل فى حياتهم الدنيا، وبما اتصفوا به من جميل الخلال ..

يحدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الفئة فى عرض جميل وبيان قويٍ أخّاذ ليحرك نفوسَ أهل الإيمان، ويبث فيهم روح الجِد والإخلاص والعمل الصالح فيسيروا على النهج القويم والطريق الراشدة

فهو أولاً يدعو من تولى أمراً من أمور المسلمين سواء كان أمراً عاماً أم خاصاً ، صغيراً أم كبيراً أن يراعى العدل ويتجنب الظلم، فالعدل صفة من صفات الله عز وجل، وبالعدل قامت السموات والأرض، والعدل شريعة الله، والله تعالى يمقت الظلم، وقد حرمه على نفسه ونهى عباده أن يَظَّالموا، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة **8.**

ثم يبين صلى الله عليه وسلم للشباب كيف يكون الإقبال على الله وطاعته وعبادته منذ بدء حياتهم وهم يدرجون فى مدارج الصِّبا؛ ليكونوا بعد ذلك رجال المستقبل، وليحققوا جيلا مثالياً منشوداً يُصلحُ الله به البلاد والعباد وهذا يلائم ثناء القرآن الكريم على هذه الفئة حين قال عن فتية أهل الكهف (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) الكهف (الآية رقم **13**).

كما أن الناظر فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام يرى أن الدعوة إنما قامت على أكتاف هؤلاء الشباب، مثل على بن أبى طالب، وأسامة بن زيد، ومعاذ بن جبل، وابن عباس وغيرهم

والخصلة الثالثة التى أنقذت هؤلاء من حرِّ ذلك اليوم الشديد، ونقلتهم إلى ظل الله الكريم هى إشادة بذلك الرجل الصالح الذى عَمَرَ الإيمانُ قلبه
واعتاد الغدوَّ والرواح إلى بيوت الله، فتعلقت جوارحه وقلبه بذكر الله فهو
محافظ على الصلاة فى المسجد، فلا يكاد يخرج منه إلا تتوق نفسُه إلى العودة إليه؛ لأنه ترك قلبه معلقاً فى المسجد، وفى هذا بعث للهمة لتتشرب القلوبُ حب الاجتماع والألفة وتتوحدَ صفوفُ المسلمين عن طريق اجتماعهم فى بيوت الله

ولقد أثنى الله عز وجل على هؤلاء المحافظين على الصلاة فى المساجد حين قال سبحانه: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدَهم من فضله والله يرزق من يشاءُ بغير حساب) **[النور آية36:38].**

والخصلة الرابعة (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) ففيها دعوة كريمة للحب فى الله ابتغاء وجهه سبحانه، لا لغرض دنيوى، ولا لكسب مادى أو مصلحة ما، وإنما الدافع الحقيقى هو المحبة الخالصة فى الله عز وحل، والحديث يبين أن هذين الرجلين إنما اجتمعا على محبة الله وحين افترقا إنما افترقا على محبة الله أيضاً

والخصلة الخامسة (رجل دعته أو طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله) إن هذه الخصلة تُظهر أسمى ما تصورته البشرية من طُهر ونقاء، إنها طهارة الوجدان وصفاءُ الإيمان الذى يعصم صاحبه من الانزلاق فى وحل الرذيلة .. إن المتوقع فى مثل هذا الموقف أن يسيل لعاب الرجل وأن يندفع وراء شهوته لا سيما وأن الداعى هو المرأة وأىُّ امرأة، إنها ذات منصب يحقق الأمان من الفضيحة ويُغرى بقضاء المصالح، وهى ذات جمال يُغرى بالاندفاع الشهوانى نحو قضاء الوطر ورغم ذلك يمتنع، لا ضعفاً ولا خوفاً من أحد، ولكنه يمتنع خوفاً من الله ولسان حاله يقول (معاذ الله) كما قالها يوسف حين دعته امرأة العزيز

والخصلة السادسة (عن رجل يتصدق بصدقة، يخفيها ولا يعلنها، يسترها ولا يكشفها، إنه لا يريد بصدقته ثناء الناس وأن يعرف الناس عنه أنه رجل البر والإحسان، وإنما قصدُه ودافعُه هو رضوان الله عز وجل، ومن ثَمَّ فهو يخفى هذه الصدقة عن أقرب ما يتصل به، إنه حين يدفعها بيد، يخفيها عن اليد الأخرى التى خلع عليها الحديث صفة العلم والمعرفة، وشخَّصَها كأنها كائن بشرى يرصد حركات الآخرين (فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه).

ثم يُختم الحديثُ ببيان فضل البكاء من خشية الله تعالى، فيذكر رجلاً صادقاً فى بكائه وخوفه من الله، فهو لم يبكِ أمام الناس ليظهرَ بمظهر الخائف من الله وتكون حقيقتهُ البعد كل البعد عن ذلك، وإنما يبكى حين يخلو بربه فيناجيهِ، ويعترفُ بما جنت يداه، ولسان حاله يقول مع القائل، ولله درُّه:

خبأتُ كم خبأت آهاتى وتعلم كم أُخبى
يا سيدى يا صاحبَ الباب الكريم وأنت حسبى
قد هدنى الموجِ العتىّ وحرت فى دربى وحبى
لتكن عيونك مرفئى إذ ضاع تحت الليل دربى
سامحت موسى قاتلاً وكشفت كربته بتوبِ
إنى ببابك أستجيرُ فإن أجرت فأنت حسبى
تفيض عيناه بالدمع، رهَباً من خوف العقاب، ورغباً فى حسن لقائه بربه